



يحتل الشیخ أبو محمد الجولانی موقعًا خاصاً في المشهد السوري منذ عام 2013. وبرز دوره في قيادة جبهة النصرة، خلال السنوات الماضية، في عدة محطاتٍ رئيسية، وخصوصاً في معركة حلب صيف عام 2016 التي انتهت بالهزيمة، وتسليم المدينة للنظام والروس، ومن ثم في ريف دمشق والغوطة ودرعا التي شهدت مآلات حلب الكارثية نفسها. وهو يشكل، مع تنظيمه، عقدة الوضع في إدلب، في لحظة هي من أدق اللحظات التي عرفتها الثورة السورية، والحركة المسلحة الذي رافقها.

سيرة الجولانی الشخصية يغلب عليها الغموض، لكن المعروف منها يفيد بأنه من الجيل السوري الذي ولد في بداية الثمانينيات التي شهدت المواجهة الكبيرة بين الإخوان المسلمين والنظام، وانتهت بهزيمة الإخوان. التحق بالعمل الجهادي في العراق عام 2003 حين كان عمره 22 عاماً، ضمن المتطوعين الذين كان يرسلهم أبو القعاع لمحاربة الاحتلال الأميركي، بالتنسيق مع الأجهزة السورية، وهناك انضم إلى تنظيم القاعدة بقيادة أبو مصعب الزرقاوي.

وترعى الجولانی جبهة النصرة، التنظيم السوري للقاعدة، وبات الوكيل المعتمد من خليفة أسامة بن لادن، الشیخ أيمن الظواهري. وضم التنظيم، إلى السوريين، أردنيين ومصريين وجنسيات أخرى، وشكل حالة خاصة تمكنت من اختراق الثورة السورية، وحجزت لنفسها مكاناً على الأرض، يعود السبب فيه إلى أنها قدّمت نفسها فصيلاً هدفه الرئيسي مقاتلة النظام السوري فقط، من أجل أن يقبلها الوسط العام، وتتمكن من بناء نفسها في المحیط السوري.

لا يتميز الجولانی كثيراً عن بقية رفقاء الذين ساروا على طريق بن لادن، وخليفة الظواهري، فهناك أمر واحد يجمع هؤلاء، ويوجه تفكيرهم، هو البعد عن رؤية الهدف الأساسي. وهم، على الدوام، يصوّبون في الاتجاه الآخر. وبدلًا من أن يهاجم إسرائيل، كانت مفاجأة بن لادن، في 11 سپتمبر/أيلول 2001، توجيه ضربة للولايات المتحدة الأميركيّة، جاءت بنتائج كارثية على العالم ككل، ودفع المسلمين والعرب ثمنها غالياً. وكان أنها شكّلت ذريعةً للرئيس الأميركي الأسبق، جورج

بوش، لاجتياح العراق واحتلاله، وإيصاله، في نهاية المطاف، إلى ما هو عليه.

ظهر تنظيم القاعدة في العراق بقيادة الزرقاوي، لا ليقاوم الاحتلال الأميركي، بل ليشعل حرباً طائفية، وتطور وضعه ليتمدد إلى سوريا، ويتصدر المشهد منذ بداية 2013 بفرعه الذي قاده العراقي عواد البدرى (أبو بكر البغدادي)، والذي صار يعرف "داعش". والثاني الأقل أهمية بقيادة السوري الجولاني، ودخل الفرعان في حروب عبئية تشبه حروب العothin، العراقي والسوسي، لكنهما التقى عند هدف محاربة الثورة السورية وتخربيها، وتحويل سوريا إلى قاعدة لاستقبال الإرهابيين من شتى أنحاء العالم، ويدعم من أجهزة مخابرات دولية، ذات مصلحة بالقضاء على الثورة.

استغرب كثيرون أن يصدر الجولاني، منذ أيام، نسخةً من علم الثورة السورية الذي بات متعارفاً عليه. ومصدر الاستغراب ليس فقط وضع الشهادة في بطن العلم، ما يعني أنه يعد السوريين بدولة إسلامية، وهو مجتمع تعددي أولاً، وثانياً هم لم يثوروا أصلاً من أجل بناء دولة إسلامية. وهذا آخر اهتمامات الأكثريّة السورية. أكثر ما لفت السوريين في قصة العلم أن الجولاني الذي رفض رفع علم الثورة في المناطق التي كان يسيطر عليها رفعهاليوم، بعد أن أضاف له لمساته الخاصة. بعيداً عن نظرية المؤامرة، واعتماداً على تجربة السنوات المنصرمة، فإن الجولاني لا يصدر عن فراغ، وهو في كل خطوة يخطوها يمشي نحو هدف محدد، ولا يختلف اثنان اليوم على أن رفع علم "القاعدة" على المناطق المحررة من سلطة النظام السوري والروس مقدمة لخلط الأوراق، وتقديم ذريعة لإنهاء آخر وجود للمعارضة المسلحة وغير المسلحة، فاعلة كانت أو غير فاعلة، والمهم هنا طي هذه الصفحة.

المصادر:

العربي الجديد